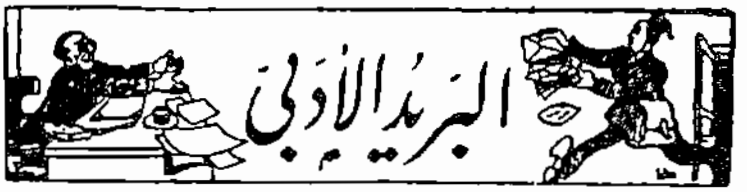

تفرعن ، فرعونه :

نحنت (الاثنان) القراء فى الجزء ذى الرقم (٦٩٢) — ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤٧ — أن الفعل (تفرعن) هو من كلام العوام ، فأزلته فى تضاعيف عباراتها فى مقالة من مقالاتها وسط أفواس[1] أربع أو أهلة معرفة قراءها بما فعلت أن المقام اقتضى استعمال هذا الفعل على عاميته مبالغة فى التبيين واستقصاء ، وإنها بحاله لعليمة . فإن كانت (الاثنان) نحنت ما نحنته أو استيقنته فلتعلم — غير مأمورة — أن (تفرعن) فعل صحيح فصيح وعربى بحت قد نجلته العربية فى (الجزيرة) ولو وضعته فى مصر أو فى الشام أو فى العراق أو فى المغرب الأقصى ما أنكرناه ولتقبلناه بقبول حسن كما تقبلنا سواه ، وهى العربية المتبحبحة المتصرفة فى كلامها ، ولها لأنعمها أن يتصرفوا ولا يقفوا . وإنه لما جاء (فرعون) اسمه إلى (الجزيرة) وتحدث الأقوام بما تحدثوا به اشتق منه (التفرعن) و (الفرعنة) ولم يسلم هو فراح (فرعون) عند العرب صفة صرفوه فيها ومنعوه علماً فـ « كل عات متمرد فرعون » كما فى اللسان والتاج ، وفى الأساس: « فيه فرعنة ، قال:

وقد يكون مرة ذا فرعنة .

وقد تفرعن علينا فلان ، وما هو إلا فرعون من الفراعنة ، ومن المجاز : تفرعن النبات إذا طال وقوى » .

وخير لغاته هى ما نطق بها (الكتاب) أى بكسر الفاء وفتح العين ، وحكى ابن خالويه عن الفرّاء (فرعون) بضم العين وفتحها ، وهى لغة نادرة كما فى التاج .

والاشتقاق من أسماء الأعلام فى الجاهلية والإسلام كثير . وقد يغنى فعل أخذ من اسم عن كلام طويل ، فمن ذلك ما أورده الإمام الزمخشرى فى (أساس البلاغة) : « وتجاحظ فلان فى كلامه »

وما ذكره فى شرح لإحدى مقاماته :

« ابن الفرات هو على بن محمد بن الفرات وزير المقتدر ، وكان كريماً سخياً سرياً يتبرمك فى أيام وزارته »

(١) فى الصحاح : القوس يذكر ويؤنث فمن أنث قال فى تصغيرها قويسة ومن ذكر قال قويس

وهذان الفعلان (تجاحظ وتبرمك) المأخوذان من ذينك الاسمين فيهما من المعانى ما فيهما ، والأمثلة من هذا القبيل جمة .

ذكرنى (الاثنان وفرعون) بخبر فى (روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار)[1] وبأبيات لأمير الشعراء (أحمد شوقى) — رحمه الله — فى قصيدة عظيمة عبقرية . جاء فى الروض :

« حضر مجلس (الإمام) الأعمش قوم ليسمعوا الحديث ، فقال : ما اليوم ؟

فقال رجل منهم : الاثنين . فقال (الإمام) الأعمش : الإثنان[2] ، ارجعوا فأعربوا كلامكم ثم اطلبوا الحديث » .

قال أمير الشعراء :

زمان الفرد يا (فرعون) ولى ... ودالت دولة المتجبرينا
وأصبحت الرعاة بكل أرض ... على حكم الرعية نازلينا
(فؤاد) أجل بالدستور دنيا ... وأشرف منك بالإسلام دينا[3]

السهمى

أدب العروبة فى الميزان :

كانت الجولة الأخيرة للأستاذ على متولى صلاح بين دفتى الأثر القيم لجامعة أدباء العروبة تعقباً لآثار ثلاثة من شعرائها ، كاتب هذه السطور ، والأستاذين الفوضى الوكيل وطاهر محمد أبى فاشا .

وأحب أن أناقش ما جاء فى ثنايا مقاله من هنات أخذها على مشكوراً فى رفق ومودة .

يقول الأستاذ (أما أن يترك الشاعر الموضوع الأصلى إلى الحديث عن نفسه وعن عاطفته فى أمر لا علاقة للموضوع به فذلك ما نأخذه على الشاعر) . وقد استشهد على ذلك بقصيدتى فى الفيوم ، قائلا إننى لم أسق (من تاريخها الحافل أو ماضيها المجيد

(١) ربيع الابرار للزمخشرى وروض الأخيار لمحمد بن قاسم بن يعقوب ...

(٢) اللسان : والإثنان من أيام الأسبوع والجمع أثناء على ماحكاه سيبويه ، وحكى مطرز عن ثعلب : أثانين .

(٣) فى هذه العبقرية يبث بارع أسرف أدباء وأديبات فى ظلم قائله وظلمه من سوء فهمه ، ولم يزل يظلم ، وقد أنصفه (صاحبى) فى إملاء من أماليه فى وقت ، والبيت هو هذا :

شباب قنع لاخير فيهم ... ويورك فى الشباب الطامعينا

من الأديبات الفاضلات الفاضلة الآنسة حواء إدريس .

شيئاً) وإنني (سردت على الناس قصة غرام شخصي في غزل أخاطب به حبيبة بعينها) ..

أما أنني جانبت الموضوع في مهرجان الفيوم فهذا ما يصعب أن أوافقه عليه ..

فإن موضوع الفيوم متعدد الجوانب ، متشعب الاتجاهات . (والتاريخ الحافل والماضي المجيد) أحد هذه الجوانب . وريامن الفيوم وجناتها مضطرب واسع لخيال الشاعر ..

وما الذي يزعجك يا سيدي من أن يتكفل النثر (بالجانب التاريخي الحافل والماضي المجيد) تاركا للشعر أن يصور جمال الطبيعة في الفيوم ، وأنا أحيل الأستاذ متولي على قصيدتي مرة أخرى ليقتنع بأنني لم أشذ قيد أنملة عند تناول الموضوع من هذه الناحية .

أما عن قصيدتي في المنصورة ، فالمنصورة كما يسميها أستاذنا الكبير الزيات صاحب الرسالة بلد السحر والفتنة والجمال فلا تثريب على الشاعر من أن يتأثر بهذه الأجواء الساحرة الفاتنة على أنني لم أفرط في قصيدة المنصورة في الاستطراد في ذكر (الناحية التاريخية والماضي المجيد) .

ثم ليسمح لي الأستاذ أن أتحداه في غير هاتين القصيدتين وموضوعهما من الشعر كما قدمت -- أن يذكر بيتاً واحداً خارجاً عن الموضوع في سائر القصائد الأخرى في الكتاب .

أما أنني أتغزل في حبيبة بعينها ، فليتفضل الأستاذ بمراجعة ما تحت يده من دواوين الشعراء في عصور الأدب العربي وأنا الزعيم له بأنه سيجدهم جميعاً مفهومين جداً وهم يتغزلون في واحدة بعينها وأن الأدب العربي لم يسجل عليهم في هذا الصدد عيباً أو نقيصة . أما بقية المآخذ فسأجل الرد عليها إجمالا .

فعدم علم الأستاذ بكيفية نثر الطيور للأزهار فوق الروابي فلست مسئولا عنه فقد رأيتها بعيني رأسي وعليه أن يمشي إحدى جنات المنصورة ليرى مارأيت أما ان كلمة أنس الأماني عامية ولا معنى لها فحينما يحرمه الله تحقيق أمنيته له — لا قدر — ثم يشاء له تحقيقها حينئذ سيستشعر أنس هذه الأمنية لقلبه وعواطفه — أما أن البيت :

أقضي الليالي أنات مرددة والشاهدان على النجم والسهد

لا يكون السهد شاهداً مع النجم وهي حالة يمانيها من كتبت عليه المحنة فلم لا تكون هذه الحالة نفسها شاهداً ؟

أما المفاضلة بين « غزالة » و « بغداد » وبين « الدسوقي » و « الرشيد » فقد فهمها منهما غريباً لا يتسق مع ما ترمي إليه الأبيات من تشبيه يلتقي فيه البلدان والرجلان عند هدف التمجيد والتكريم والاشادة بمن يعمل على رفع شأن الأدب ورعاية الشعر .

أما أن كلمة « مليا » في البيت :

يا لواء الفاروق عشت مليا نحن نفدي لواءه المقصودا

كان الأولى أن يكون موضعها « دواما » لأن معنى الأولى الزمن الطويل بدليل الآية (واهجرني مليا) فلعل الأستاذ يوافقني على أن كلمة « مليا » تتساوق في الجرس أكثر من « دواما » والزمن الطويل لا تلتمس له النهاية التي حددها الأستاذ متولي ،

أما المأخذان الأخيران في عدم تأتي حر العطش من الرى العذب في البيت :

فاسقنيها في ربيع الزمن خمرة من ريها العذب أوامي

وعدم تصور حياء اللذع وأنه لا يكون إلا في الخير لا في اللذع في البيت :

قلبي الذي بات يصلى منك جمرته وقد حبته بلذع دونه سقر

فخمر العطش يتأتى من الرى العذب من هذه الخمرة التي تغرى دائماً بالعلل والنهل فكلما روى الشارب ظمىء .

أما أن العطاء لا يكون في اللذع فلذع القلوب واكتواؤها بنار الحب شيء يلذ العاشقين يتمنونه ويغرمون به .

بقي أن أعقب على مآخذ للأستاذ الناقد على نتاج الجامعة الذي يقول أنه ضئيل ويسير وهو مأخذ يدعو إلى الدهشة والعجب فما الذي كان يتوقعه الأستاذ من مجهود للجامعة أضخم من هذا في عامها الأول فقد افتتحت الجامعة فروعاً عدة في مختلف أنحاء القطر شهدتها جموع كثيرة وأذاعها الأثير على سائر أقطار الشرق والعروبة ثم أخرجت الجامعة للناس كتاباً قيما يضم الرائع من الشعر والنفيس من النثر للأساتذة العقاد ، ناجي ، غنيم ، رامي الخ

أما اقتراح الأستاذ على معالي رئيس الجامعة في تعديل تشكيل هذه الجامعة واقصاء بعض القائمين بأمر الدعاية والعمل لها ، فقد أعلن معالي الرئيس غير مرة أن هؤلاء القائمين بالنشاط الموفور لخدمة الجامعة ليسوا من كبار الكتاب أو الشعراء في البلد وإنما هم أناس قدموا أنفسهم وأوقاتهم لخدمة الجامعة ونشر أغراضها ومبادئها مستمدين العون من قادة الفكر والبيان في مصر وسائر أقطار العروبة .

أحمد عبد المجيد الغزالي